دلالة الجموع في – سنابل على أرض ملساء- للكاتبة: أم البنين طبيب زغره الجزائرية

الدكتـور: محمد ماكني
جامعة الجيلالي ليابس بسيدي بلعباس - الجزائر

الملخص:

قراءة في الصيغ –جمع التكسير الدال على الكثرة أو الدال على القلة – وعلاقتهما بالألفاظ التي وظفتها الروائية من خلال الأحداث.فالصيغ الدالة على القلة وظفتها في البعد الزماني الضيق لحياة وردة الإسفنج وكذا الإطار المكاني لإحداث القصة.أما الدالة على الكثرة جاء في حدثيها عن الطول المعنوي لحياة الزهرة ومرورها كالطيف؛ ومنه فالأبينة الدالة على القلة قد تخرج عن أصلها إلى التعبير عن الكثرة، والسياق هو المحدد لدور الكلمة في الاستعمال اللغوي وليس القوالب الجامدة القياسية أو السماعية.

الكلمات المفتاحية: سنابل، سنبلة، زهرة الإسفنج ،الزائر، الأشواك، الأوهام، الأحلام ،صبية، جمع القلة، جمع الكثرة.

✍ في كل رواية أو قصة نجد من يبحث عن تحقيق رغبة معينة، تتحقق هذه الأخيرة بواسطة المساعد، الذي يعمل من أجلها، فيما يحيل المعيق عكس ذلك، في تبادل للمواقع بين (المساعد والمعيق).

✍ إنّ قراءة أولية للمجموعة القصصية [1] –سنابل على أرض ملساء- لأمّ البنين – طبيب زغره[2]- نجدها تبدأ التمفصل الثاني في القصة بالاستفهام الذي ميّز المصاحبة والألفة بين الكاتبة وزهرة البنفسج ، ثم تشرع في رحلة الأفراح والأشواك التي ساقتهما في مسيرة وصحبة متبادلة ،يعزوها الهدوء إلى ارتشاف فناجين القهوة الممزوجة بين المرارة والحلاوة المرتبطتين بالحال الآني ، ثم تخلص إلى نهاية رحلتها مع الوردة بعد أن عمّرت فصلين في زمن خافت.

وقفة مع العنوان:

✍ وقفتنا الأولى مع العتبة النصية وهي عناصر عنوان المجموعة القصصية الموسومة بـ سنابل على أرض ملساء- فكلمة سنابل من مفرد (سنبلة)و وردت في القرآن الكريم بصيغتين ووزنين مختلفتين (سنابل و سنبلات) ولكل منهما دلالة بلاغية وتفيدان القلة أو الكثرة في تعبير وسياق واحد.

سنابل و سنبلات كلاّ ورد بعد العدد (سبع) الذي يدلّ على القلّة، ففي قوله تعالى ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾261 البقرة. يذهب فاضل السامرائي في لمساته إلى أنّ المقام هنا للكثرة فقد جاء بالعدد سبع بعد وزن التكسير الدال على الكثرة(سنابل)، لأنّ في كل سنبلة مئة حبة والله سوف يضاعف لمن يشاء، فقال الله تعالى سنابل لتناسب التعبير في المضاعفة والكثرة ولم يقل سنبلات، بينما وردت بلفظ سنبلات لمّا دلت على القلة في سورة يوسف بقوله ﴿**وقَالَ المَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا المَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ** ﴾ يوسف43.

✍ سنبلات جمع مؤنث سالم جاء معه العدد(سبع)وهو يدلّ على القلة ليناسب سبع بقرات و سبع سنوات دون تضعيف أو زيادة.

✍ لعل توظيف القاصّة لعنصر العنوان – سنابل – له دلالات الجمع المعنوي وتؤكد ذلك في قولها : " سرنا نتبادل ثلاثتنا كلمات الترحيب المجهزة سلفا لهذه المواقف " و"كانت علاقتنا ثلاثية الأبعاد" و"إننا نلبي نداء الطفولة الغامر الذي تملّك ثلاثتنا" رغم أن البرنامج السردي و شخوصه الأساسيين هما الثنائي: القاصة وزهرة(امرأة) البنفسج .

دلالات الجموع في القصة:

✍ تتباين الصيغ الافرادية الدّالة على أبنية الجموع التي وظفتها القاصّة بين جمع السلامة بنوعيه المذكر والمؤنث، وجمع التكسير الدالين على القلة أو الكثرة، لأجل الاختصار وتجنبا

للاستفاضة، مع مراعاة تمفصلات القصة ومحدودية عدد أبطالها الأساسيين والثانويين (القاصّة، زهرة الاسفنج، الزائر الافتراضي) ، نبحث في دلالات جموع القلّة عطفا على شخوص القصة

مع المفهوم:

✍ جمع القلة "هو ما تغيرت فيه صيغة الواحد إما بالزيادة :كصنو وصنوان، أو بنقص :كتخمة وتخم ، أو بتبديل شكل: كأسد و أسد ، أو بزيادة و تبديل شكل:كرجال، أو بنقص وتبديل شكل: كرُسل"[3]. من التعريف نجد أن هناك تغيير ظاهر أساسه تغير الحركات و موقيعيّاتها مع الزيادة أو الحذف لعناصر المادّة المكوّنة لأبنية لصيغة الافرادية.

ومن صيغ جموع القلة (أفعُل- أفعال، أفْعلة، فِعلة) التي نسجت خيوط القصة:

- **صيغة أفعال :**

- وردت هذه في قولها: ساطعة كنور الشمس و**الأحلام** وارفة كشجر الزيزفون...
- ينغرز قيظها **أشواكا** في حلوقنا....
- تقف برجل عرجاء على ارض مسكونة ب**الألغام وبالأوهام**....
- كأن الم الذي نتجرّعه مع **الأحداث**.....
- ارتفاع مؤشر **الأسعار**...
- كلّها **أخبار** سوداء.....مزروعة **كأعشاب**....
- **أسوار** غربتنا اللاذعة..

الصيغ المتداولة في القصة: الأحلام ، الأشواك الألغاز الأوهام، الأحداث ، الأخبار، الأعشاب،أسوار ،كلها جاءت جموع قلة من مفرد: حلْم، شوك، لغْز، وهْم، حدث، سور، على التوالي،وتحمل دلالات االبعد الزماني الضيق لحياة زهرة الاسفنج ، وكذا الاطار المكاني لأحداث القصة من الالتقاء والصداقة العابرة الجامعة بينهما، إلى غيمة الضباب البيضاء التي فصلت بينهما.

✍ في مقدمة هذه الأوراق تكلمنا عن رحلة الاشواك و مسيرة الافراح اللتان ميزتا العلاقة بين الكاتبة وزهرة الاسفنج، فثنائية (الفرح و الحزن) ظلتا العناصر التركيبية لأحداث القصة في قوالب ألفاظ و صيغ جموع القلة (الأشواك الأفراح الأوهام الألغام، الأسعار).

صيغة فعْلة:

جاء توظيف هذه الصيغة مرة واحدة في قولها:

-لم نكن نتوقع أن غيمة المواعيد سوف تمطرنا برذاذ هذا اللقاء وسوف تمنحنا العودة إلى مملكة أيام أعمارنا التي عشناها ونحن **صبية**...فكلمة (صبية) من صبي"رغم خروجها عن القياس و(صبيّ) على وزن فعيل وهي من الأبنية التي لها أوصاف تطرد فيها ."[4]"وليست ثلاثي مفتوح الفاء وساكن العين (فَعْل).

✍ لقد أفادت القصة من تعدد أبنية المفردة، ليعطي كل بناء دلالة خاصة، أي أنه إذا كانت الصيغة الذاتية مبنية بناء للكثرة وآخر للقلة، نرى أبنية الكثرة تحمل في جوانب القصة معاني القلة.

دلالات القلة المعنوية في أوزان الجموع :

قالت الكاتبة:

- أخذنا الطريق الأسفلتي المتعرج بين مرتفعات و منحنيات **خضراء**..
- تكون فيه الحقيقة **كنور** الشمس و**الأحلام** وارفة **كشجر** الزيزفون...

نلاحظ من خلال ما جاءت به في العبارتين ممازجة بين الوزنين (فعلاء) في خضراء و (فعْل) في شجر، وفي نور. فهي جموع كثرة توسطتها بصيغة (أفعال) الدالة على القلة وكأن رحلة زهرة البنفسج بدأت طويلة ثم مرت سريعة كطيف الخيال لتجد الكاتبة نفسها تعانق ظلها العالق بالكرسي الحجري بعد غياب المرأة (زهرة البنفسج) عن النظر.

- نتجاذب **أطراف** أحاديث الصحف **الحمقاء**...وظفت القاصة صيغة (الحمقاء) وهي جمع كثرة لتعدد الصحف ، ولم تأت (حمقى) على وزن (فعلى) جمع كثرة "وفيها ما يصيب الحيّ من المكاره و الآفات والأحزان كقتلى وعطشى[5]" وكأنها تتمنى أن يكون ما في الصحف والجرائد الحمقاء التي على وزن (فعلاء) أقلّ على النفوس من صيغة (فعلى) مريدة من ذلك التعبير اللطيف.

- يتدحرج من عيوني الحلم....ليس المهم أن ترى صورتك في **عيون** الآخرين..لكن كيف يرى صورتك الآخرون..فلفظتي (عيوني و عيون) جمع قلة وقد استوفت الشروط في الإفراد (عين) ثلاثية ساكنة الوسط ، وجاءت في الجمع على غير القاعدة . والحال نفسه في (زهور) ظلّت يدها متمسكة بيدي و أصابعها الشمعية تنمو بين أصابعي **زهورا**... من (زهرة).

خاتمة:

✍ خلاصة التركيب وحاصل دلالات الصيغتين، أنّ الأبينة الدالة على القلة قد تخرج عن أصلها إلى التعبير عن الكثرة ، فالسياق هو المحدد لدور الكلمة في الاستعمال اللغوي وليس القوالب الجامدة القياسية أو السماعية.

الهوامش:

1:سنابل على أرض ملساء، أم البنين طبيب زغره، ، منشوات اتحاد الكتاب الجزائرين، المراجعة والمتابعة نورالدين طيبي، الطبعة الأولى، 2009.
القاصة، أم البنين في سطور:
أم البنين كاتبة جزائرية ، أديبة بامتياز، لا تتقلّد أي منصب ، مثال للمرأة المثقفة الماكثة في البيت، كرّمت في عيدها من طرف المجلس الولائي والبلدي لولاية عنابة. منقول من مجلة أصوات الشمال ، حاورتها الشاعرة: نادية نواصر.

2: سنابل على أرض ملساء ، مجموعة قصصية تضم: الزحف، امرأة البنفسج، أجراس الانتظار، من قتل تفاحة؟، العتمة، عادة سيئة، أحلام جرداء، مدينة تبحث عن أنوثتها، العائد، .

3ينظر:. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الجزء الثاني، ص415.

4 ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الجزء الثاني، ص419.

5 ينظر: شذا الغرف في فن الصرف، أحمد بن محمد بن أحمد الحملاوي،دار القدس للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1432ه/2012م، ص71.